

دراسات محكمة

سيميائية الشعر الوبائي بين
السخرية والجدية
المعلقة الكورونية أنموذجا

لوالي خالد بو عبد الله

باحث في الدراسات النقدية، جامعة عمار التليجي، الأغواط-الجزائر

10 مارس 2022





ملخص: يعد الأدب السّاحر من الأدب الجاذب للنّاس قديما وحديثا، ذلك أنّه يروّج على النّفْس ويعلمها أمورا تجهلها، فقد حاول الأدباء توظيف هذا النوع من الأدب توظيفا شعريا جذابا، تكون به استمالة عواطف المتلقين وعقولهم، خلاصة لما تعلق الأمر بجائحة خطيرة كادت تفتك بعالم الإنسان؛ عرفت بـ(الكورونا).

من ها هنا راح الشّاعر المعاصر بحسه التوعوي يحذر من خطر الجائحة بأسلوب ساخر فيه من (الجد والدعابة والمزاح الشّيء الكثير)، حتى جاء الدور على الشّاعر السّوري الأستاذ: خالد جميل الصدقة الذي نظم قصيدة يعارض بها الشّاعر الجاهلي (عمرو بن كلثوم)، سماها (المعلقة الكورونية)، ولم يمض على نظمه لها أسبوعٌ واحدٌ، حتى أصبح طريح الفراش يصارع الموت، وما درى أنّ حتفه سيكون على يد هذه الكورونا.

* فأين تتجلى سيميائية الخطاب الوبائي السّاحر عند خالد جميل في قصيدته (المعلقة الكورونية)؟

* وهل كان غرضه من المعلقة الفكاهة والدعابة والتهكم فقط؟ أم إنّ له رسالة أبلغ من ذلك يريد إيصالها؟

إلا أنّنا نلمس من القصيدة محاولة الشّاعر غرس رسالة هادفة، تتمثل في بث روح المسؤولية في المتلقي، مع توضيح الأسباب الموضوعية التي أدت إلى تفشي هذا الطاعون.

الكلمات المفتاحية: سيميائية الخطاب الوبائي، الأدب الساخر، عمرو بن كلثوم، المعلقة الكورونية، خالد جميل صادق.

Abstract:

Satiric literature has always been attractive, since it's entertaining and educative. Literati have always used it as an attractive poetry for stimulating the people's minds and emotions, especially throughout the threatening Corona pandemic.

With his conscious sense, the contemporary poet warns people from the pandemic danger with a serious and satirical way simultaneously. The Syrian poet Khaled Jamil Sadiq has written a poem, as an opposition, to the pre-Islamic poet Amr Ibn Koulthom, and he has called it 'The Corona Poem'. After only one week, the poet died, after being infected with the Corona Virus.

*Where does the epidemical satirical discourse semiotics appear within Khaled Jamil's poem?

*Did the poet want to convey a valuable message or his objective was only satire, irony, and mocking?

However, we observe that the poet has a valuable message to convey through his poem. He aims at steering up the receptor's responsibility spirit with clarifying the objective reasons behind the pandemic proliferation.

Key words: the epidemical discourse, the satirical literature, Amr Ibn Kolthom, the Corona poem, Khaled Jamil Sadiq.



توطئة

إنّ الخطاب السّاحر في القرن العشرين يفرض نفسه على الأديب حتى ينشغل بالموضوعات الحياتية التي تستجد بين الفينة والأخرى، ولما تعلّق الأمر بالخطاب الوبائي الذي أصبح حديث الساعة في العالم بصفة عامة وفي الوطن العربي بصفة خاصّة تحت مسمى: الكورونا؛ فتهافت الشّعراء للاهتمام به، حتى عمد الشّاعر خالد جميل الصّدقة إلى نظم قصيدة يساهم من خلالها في التحذير من مخاطر هذا الوباء ويدعو إلى الحدّ من انتشاره بوسائل وقائية في قالب شعري بديع يجمع فيه بين الجدة والسخرية.

ونحاول في بحثنا هذا الكشف عن معاني السّخرية ورمزيّتها في قصيدة: (المعلّقة الكورونية) موظفين المنهج السيميائي لاستخراج الحقول الدلالية التي توحى بحسن اختيارات الشّاعر للألفاظ المؤدية للمعنى التوعوي، إلا أنّنا نجد البحث يفرض علينا التطرق إلى معنى السيمياء والأدب السّاحر قبل الولوج إلى تحليل القصيدة.

إنّ المنهج النّقدي الغربي قد وجد لتّحليل نصوص غربية - مقدّسة أو أدبية-، معتمد في انطلاقاته المعرفية على نظريات واجراءات تحليلية، مستخلصة من جملة المناهج السّابقة على اختلاف منابها، فهي تراعي مُستويات الخطاب الذي تحاول الوقوف عنده، إلا أنّ الملموس من تلك المناهج النّقديّة على كثرتها-سياقية أو نسقية - هو اختلافاً فيما بينها، في الطرائق التحليلية للخطاب أو النصّ الواحد، باعتبار أنّ كلّ منهج من هذه المناهج يقوم على أنقاض منهج الآخر، فهو حتماً قد استفاد منه ووظف أفكاره ونظرياته، وقد يشمل ذلك حتى الاختلاف في المنهج الواحد على عدة مدارس ونظريات وطرائق تحليلية للتّصوص، إلا إنّنا سمّهم بالمنهج السيميائي ودلالاته دون غيره من المناهج الأخرى.



1- مفهوم السيميائية:

أ- لغة: فالسيميائية في المعاجم: العلامة أو الرمز الدال على معنى مقصود، لربط تواصل ما، فـ" (وسم): الوَسَمَ أَثْرُ الكَيِّ، والجَمَعُ وَسُومٌ ... وَقَدْ وَسَمَهُ وَسَمًا وَسِمَةً إِذَا أَثَّرَ فِيهِ بِسِمَةٍ وَكَيِّ، واتَّسَمَ الرَّجُلُ إِذَا جَعَلَ لِنَفْسِهِ سِمَةً يُعْرَفُ بِهَا"¹ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَّرَ السُّجُودِ﴾ سورة الفتح: الآية: 29. وَقَوْلُهُ أَيضًا: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ سورة البقرة، الآية: 273، وفي الحديث أنه -صلى الله عليه وسلم-: كَانَ يَسِمُ إِبِلَ وَغَنَمَ الصَّدَقَةِ² فَكُلُّ هَذِهِ المعاني تدور حول إحداث علامة مرئية، تصبح صفة طارئة ودائمة عند صاحبها.

1- اصطلاحاً: ويرجع مصطلح السيميولوجيا إلى فاردينان دي سوسير (ت1913م) في استحدثته لمصطلح (السيميائية) -Sémiologie- إلى يفضله الأوروبيون، بينما يفضل الأمريكيون مصطلح (السيميوطيقيا) -Sémiotics- الذي يرجع إلى شارل بيرس (ت1914م) وكل من الرجلين أستاذ في الألسنية الغربية، واشتهر عندهما هذا العلم بـ(علم العلامات)³ فالسيميائيات عند دي سوسير هي: "العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل المجتمع"⁴ أو هي: دراسة الأنماط أو الأتساق العلاماتية اللسانية (ملفوظة) وغير اللسانية (غير ملفوظة)⁵ وتكون السيميائية حينئذ هي العلم الذي يدرس الإشارات مهما كان نوعها و أصلها، من ناحية بنيتها وعلاقتها الكونية ثم توزيعها و وظائفها الداخلية والخارجية⁶.

2- اصطلاحاً: ويرجع مصطلح السيميولوجيا إلى فاردينان دي سوسير (ت1913م) في استحدثته لمصطلح (السيميائية) -Sémiologie- إلى يفضله الأوروبيون، بينما يفضل الأمريكيون مصطلح (السيميوطيقيا) -Sémiotics- الذي يرجع إلى شارل بيرس (ت1914م) وكل من الرجلين أستاذ في الألسنية الغربية، واشتهر عندهما هذا العلم بـ(علم العلامات)⁷ فالسيميائيات عند دي سوسير هي: "العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل المجتمع"⁸ أو

¹ جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، ط2، 2009، دار الكتب العلمية، بروت - لبنان - ج: 12، ص758، 757. وينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط. جديدة، 2007، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ج 4 ص 139.

² رواه مسلم عن أنس بن مالك، الحديث رقم: 2119.

³ ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، 2010، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر - ص 13. 12. 11.

⁴ حفناوي بعلي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، ط1، 2014، دار دروب للنشر، ص 159.

⁵ ينظر: مقال الأستاذين، ماجد وهيبو على حواس، السيميائية اللغوية (شعر أحمد مطر أنموذجا)، جامعة بغداد، ص 03.

⁶ ينظر: مقال: بلقاسم دقة، السيميائية في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد 91/2003، ص 70.

⁷ ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1، 2010، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر - ص 13. 12. 11.

⁸ حفناوي بعلي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، ط1، 2014، دار دروب للنشر، ص 159.



هي: دراسة الأنماط أو الأنساق العلاماتية اللسانية (ملفوظة) وغير اللسانية (غير ملفوظة)⁹ وتكون السيمياء حينئذ هي العلم الذي يدرس الإشارات مهما كان نوعها و أصلها، من ناحية بنيتها وعلاقتها الكونية ثم توزيعها و وظائفها الداخلية والخارجية¹⁰.
مفهوم السُّخْرِيَّة:

أ- لغة: تكاد المعاجم العربية أن تتفق حول معنى السُّخْرِيَّة فهي من مادة (سَخِرَ) ثلاثي الأصل المكسور العين ومصدره (سخر) بضم السين و(سخرية)، ونقل عن الأخفش أنه يتعدى بمن والباء فيقال: سَخَر منه وسخر به وضحك منه وبه وهزئ منه وبه كلّ يقال: والاسم (السُّخْرِيَّة) وهما لغتان، والأخيرة أردأهن .

وجاء في لسان العرب: "سَخِرَ: سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخْرًا وَسَخْرًا وَمَسَخَرًا وَسُخْرًا، بِالضَّمِّ، وَسُخْرَةً وَسِخْرِيًّا وَسُخْرًا وَسُخْرِيَّةً: هَزَيْتُ بِهِ."

وفي تاج العروس: "سَخِرَ مِنْهُ، هَذِهِ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ، وَبِهَا وَرَدَ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ الْآيَةَ: 79، وَقَالَ: ﴿إِنْ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ سُورَةُ هُودِ الْآيَةَ: 38، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ سَخِرْتَ مِنْ رَاضِعٍ لَخَشِيتَ أَنْ يَجُوزَ بِكَ فِعْلُهُ وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: حَكَى أَبُو زَيْدٍ سَخِرْتُ بِهِ وَهُوَ أَزْدًا اللَّغَتَيْنِ، وَنَقَلَ الْأَزْهَرِيُّ عَنِ الْفَرَاءِ: يُقَالُ: سَخِرْتُ مِنْهُ وَلَا يُقَالُ: سَخِرْتُ بِهِ وَكَانَ الْمُصَنِّفُ تَبِعَ الْأَخْفَشَ، فَإِنَّهُ أَجَازَهُمَا قَالَ: سَخِرْتُ مِنْهُ وَسَخِرْتُ بِهِ كِلَاهُمَا (كَفَرِحَ) وَكَذَلِكَ ضَحِكْتُ مِنْهُ وَضَحِكْتُ بِهِ وَهَزَيْتُ مِنْهُ وَهَزَيْتُ بِهِ... الْأَفْصَحُ الْأَشْهَرُ: سَخِرَ مِنْهُ."

ب- اصطلاحاً: يتداخل معنى السُّخْرِيَّة مع مصطلحات أخرى ك(التهمك والضحك) حتى وإن كانت تشترك معها في المعنى العام إلا أن السُّخْرِيَّة تشملها جميعاً فالسُّخْرِيَّة من الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول، وقد يكون بالإشارة والإيماء" وهي في المعنى الأدبي: "النقد الذي يقصد منه إثارة الضحك، أو التجريح الهازي عن طريق الوصف المشوه المضحك أو إبراز العيوب الجسمية أو الحركية أو العقلية، أو السلوكية بشكل غير مؤلم" فهي طريقة من الكلام الذي يعبر به الأديب عن خلاف قصده بالفعل، كأن يسخر من بخل رجل فيقول: (مَا أَكْرَمَهُ)، فهو يسخر منه دون أن يثير حفيظته ويضفي فكاهة على مجلسه، لأن السُّخْرِيَّة في الحقيقة هي: "نوع من الهُزء قوامه الامتناع من إسباغ المعنى الواقعي أو المعنى كله على الكلمات والايحاء عن طريق الأسلوب والقاء الكلام بعكس ما يقال" لمحاولة التغيير في المخاطب الذي

⁹ ينظر: مقال الأستاذين، ماجد وهيبي-على حواس، السيميائية اللغوية (شعر أحمد مطر أنموذجاً). جامعة بغداد، ص 03.

¹⁰ ينظر: مقال: بلقاسم دقة، السيميائية في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد 2003/91، ص 70.



أثرت فيه المفاهيم الإجتماعية والإقتصادية والسياسية اللاذعة، فالسخرية طريق للكشف عن الحقائق المرة النتائجية عن فساد الفرد أو المجتمع في هالة من الاستهزاء السخرية لاقتلاع جذور الفساد.

فالسخرية تحدد شخصية الأديب عموماً وتصرفاته تجاه المجتمع وأخلاق وتصرفات أفرادها، فالسخرية هي: "موقف الشاعر الفكري والفني والذاتي، والموجود داخل عمله الفني تجاه مجتمعه بكل ما يحوي، فلغة الشاعر والعلاقات بين الألفاظ بعضها البعض وتصويره الفني وما يحوي من إظهار وإخفاء وكذا فلسفته الشخصية وفكره الذاتي كل هذا يحمل موقفه من مجتمعه" لأن السخرية في نظر الأديب "أسلوب من أساليب النقد الموجه للأفراد والجماعات، ويحارب عليهم، ويحاربهم تقصيرهم ويقوم عيوبهم مهما كانت وسائله وغاياته" فالسخرية تجعلنا نتعرف على شخصيات المخاطبين بها، حين توقعهم من سباتهم، فغايتها الكبرى هي تحقيق الوعي وإيجاد اليقظة إذ إن السخرية تحاول الارتقاء بفكاهتها إلى المستوى الأكثر ذكاءً ولباقةً، فتتخذ لنفسها هدفاً تعمل على تحقيقه بكل السبل سواء أكان الهدف (اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً وحتى صحياً). كما هو الحال عند الشاعر خالد الصدقة ومعلقته الكورونية.

3- التحليل السيميائي للقصيدة الكورونية:

إن تحليل النصوص الأدبية وفق المنهج السيميائي، يتطلب النظر إليها من جميع جوانبها، وصبر أغوارها، واستكشاف دلالاتها الممكنة والمحتملة، انطلاقاً منها و انتهاء إليها، مع الاستعانة بالواقع المحيط بالنص وصاحبه، حتى وإن كانت السيميولوجيا "لا يهتمها ما يقول النص ومن قاله، بل ما يهتمها هو كيف قال النص ما قاله، أي أن السيميوطيقاً لا يهتمها المضمون وبيوغرافياً المبدع بقدر ما يهتمها شكل المضمون"¹¹ فهي تسعى لاستنطاق مكونات ذلك النص، حتى تصل إلى أعماق بنية ممكنة فيه، فتساعد الناقد في استخراج قراءات جديدة محتملة.

3-1 مستويات المنهج السيميائي:

3-1-1 سيميائية العنوان: إن أول عتبة تواجهنا في التحليل السيميائي للنص الأدبي هي: عتبة عنوانه¹²، لأن الشاعر يتحرى اختيار ذلك العنوان بدقة متناهية، ليستفز القارئ والناقد أو (القارئ الناقد) ويستميله نحو قصيدته، فيبدع في قراءتها وتحليلها انطلاقاً من العنوان، باعتباره المفتاح الأول لولوج النص، في حين تتلاطم الأفكار والثقافات والرؤى والقراءات بداخله، مما يضطر القارئ

¹¹ جميل حمدوي، سيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، م25 عدد:3 يناير 1971، ص98.

¹² المرجع السابق، ص09.



إلى الاعتماد على القراءة والتحليل و المقارنة والقياس والاستنتاج وحتى التأويل إذا أشكلت عليه رموزه، وهو ما نجده في واقع النقد الحديث والمعاصر كما يرى محمود عبد الوهاب: "إنَّ العُنْوَانَ عَلَى المُسْتَوَى اللُّغَوِيِّ يُعْتَبَرُ مَقْطَعاً لُغَوِيّاً يَعلُو فِي النِّصِّ وَتَتَحَكَّمُ فِيهِ قَوَاعِدُ نَحْوِيَّةٍ وَسِيمِيَائِيَّةٍ"¹³.
فقد أولى الشاعر جميل الصدقة اهتمامه للعنوان: (المعلقة الكورونية)، لاختياره سبيل معارضة الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم¹⁴، باعتبار أن فيروس (الكورونا) قد أصبح عدواً غاشماً، يحتاج إلى قوة وحماسة و هبة جماهيرية لمقاومته والكف من انتشاره. فيكون العنوان هنا مقوماً من مقومات النص، حيث نراه يكشف لنا عما تحويه القصيدة التي موضوعها (وبائياً اجتماعياً)، فقد اختار لها- القصيدة- الشاعر التظم على الطريقة العمودية، التي تعتمد على القافية والروي مخالفاً في ذلك ما هو شائع في هذا العصر من الشعر الحرّ، و محاولاً البقاء على النهج القديم (الجاهلي) الذي يتماشى ومسمى المعلقة.

وأما مسمى (الكورونية)، فقد استقاه الشاعر من الجائحة الشرسة التي اجتاحت العالم ككلّ، فلم تذر بقعة منه إلا احتلتها وفتكت بأهلها، (كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، شبيهاً وشباناً)، إلا من كتب الله له طول العمر- وقد أطلق عليها علماء الفيروسات مسمى: (كوفيد 19).

3-1-2- سيميائية الأسماء: تتسم الأسماء في المعلقة الكورونية بالفخامة والجزالة والإيحاء، ذلك أنّها طريق الشاعر إلى المتلقي، فهو يحذر من خلالها خطر الجائحة وطرق انتقالها بين الناس، و من تلك الأسماء (كَمَامٌ، رَذَاذُ، قَفْصٌ كَبِيرٌ، كُورُونَا، الرُّعْبُ، وَبَاءٌ، فَيْرُوسٌ، العَالَمِيْنَا، ضَحَايَا، كُوفِيدُ، الخَائِفُونَ، الجَائِعُونَ، الجَاحِدُونَ، البَاخِلُونَ، الغَادِرُونَ، الصَّالِحِينَ، المُجْرِمِينَ، اللهُ، صَفْعَةٌ، الغَافِلِينَ، المُصَابِئُ).

فقد قال في البيت الأول:

أَلَا هُبِّي بِكَمَامٍ يَقِينَا *** رَذَاذِ العَاطِسِينَ وَعَقْمِينَا

ووظف اسم (الكمام) لأنه العازل الوحيد الذي يوصي به الأطباء للوقاية من نفس المخاطبين، وعبر عنه الشاعر ب(رَذَاذِ العَاطِسِينَ)، لأن الحقيقة العلمية تقول بأن الرذاذ هو الناقل الأول لهذا الوباء،

¹³ لسانيات وسيميائيات، مدونة مولاي على بوخاتم

http://moulayaliboukhatem46.blogspot.com/p/blog-page_13.html

¹⁴ هو عمر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم... بن تغلب بن وائل يمتد نسبه إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان من أشهر شعراء المعلقات ومن الطبقة الأولى، كان فارساً شجاعاً معجباً بنفسه، فقد عمر قرابة (150 سنة) توفي: سنة 39 قبل الهجرة. ينظر: ديوان عمرو بن كلثوم، تع: عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت-لبنان-، ط1، 2004، ص05./وموقع سطور. نشر 2019/11/17، <https://sotor.com>.



مما يحتتم على كلّ داخل أو خارج من البيت أن يعقم يديه والأشياء التي معه بالسائل الكحولي ليحدّ من انتشار الطاعون ويقتل الفيّروس في مهده.

ثمّ يشتكي الشّاعر حالة العالم حين فرضت الدّول الحجر الصحي الكليّ، ممّا انعكس سلبيّاً على معاش النّاس ونفسيّاتهم فقال:

فَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي قَفْصٍ كَبِيرٍ *** وَكُورُونَا يُبْتُ الرُّعْبَ فِينَا

فخالد الصدقة وظف (قفصٌ كبيرٌ) -سجنٌ كبيرٌ- للدلالة على العزلة التي فرضتها الدّولة التي يقيم فيها -الكويت-، ويعلّل سبب ذلك (كُورُونَا يُبْتُ الرُّعْبَ فِينَا) أي: أنّ النّاس أكرهوا على البقاء في هذا الحجر -السجن- خوفاً على أنفسهم أو أحبّاهم، لأنّ الوباء قد أصبح شرساً -يوماً بعد يوم-، ليفتك بكلّ من يقف في طريقه.

وبعد ذلك يشرع خالد الصدقة في السّخرية دون مقدّمات، فيروي قصص النّاس من حوله والمعاملات الاخرافية التي فرضت نفسها عليهم فيقول:

إِذَا مَا قَدْ عَطَسْنَا دُونَ قَصْدٍ *** تُلَاحِقُنَا الْعُيُونُ وَتَزْدَرِينَا

وَإِنْ سَعَلَ الزَّمِيلُ وَلَوْ مُزَاحًا *** تَفَرَّقْنَا شَمَالًا أَوْ يَمِينًا

فالشّاعر يصف حالة الرعب التي ركبت النّاس، حتى إذا ما (عَطَسَ) أحد الحاضرين في المجلس، تلاحقه العيون مزديّة له على أنّه حامل للفيّروس -اللّعين- أو ناشر له بين النّاس، والأعجب من ذلك أنّه إذا سَعَلَ في نفس المجلس تفرّق المجلس من حوله على أنّه هو الفيّروس نفسه، وهي حالة نفسية مضطربة حلت بالعالم لا يعرف مدها إلا من ذاق مرارتها.

كما يحاول الشّاعر توصيف هذا الفيّروس وعجز النّاس أمامه، حكماً ومحكومين، وعلى الرغم من عددهم وعدّتهم، إلاّ إنّهم مهزومون نفسياً فقال:

وَبَاءٌ حَاصَرَ الدُّنْيَا جَمِيعًا *** وَفَيْرُوسٌ أَذَلَ الْعَالَمِينَ

تَغْلُغَلُ فِي دِمَاءِ النَّاسِ سِرًّا *** فَبَاتُوا يَائِسِينَ وَعَاجِزِينَ

يُقَاتِلُهُمْ بِلَا سَيْفٍ وَرُمَحٍ *** وَيَتْرِكُهُمْ ضَحَايَا مَيِّتِينَ

فالطاعون قد حاصر البشر في دورهم أو منقاهم -من انقطعت بهم السبل-، وعلى صغر حجمه قد أذلّ العالم بأكمله، حين يدخل إلى دماء المصابين فيفتك بالرتتين و يعجزهم عن التنفس والحركة، فعلى الرغم من أنّه يقتل بلاسيف ولا رمح إلاّ أنّ قتلاه كثير، فهو الإعصار الذي مرّ فوق رؤوس فحصد الأرواح.



وقد تحوّل الشّاعر في آخر القصيدة إلى عقد حوار مع الكورونا مستعينا بـ(التّمَلُّقِ والقَدْحِ والتّوْبِيخِ) لتبرير أسباب نشوب هذا الطاعون في جسد العالم فقال:

أيا كُوْفَيْدُ لَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا *** وَأَمْهَلْنَا نُخْبِرَكَ الْيَقِينَا
بِأَنَا الْخَائِفُونَ إِذَا مَرَضْنَا *** وَأَنَا الْجَازِعُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَا الْمُبْلِسُونَ إِذَا افْتَقَرْنَا *** وَأَنَا الْجَاحِدُونَ إِذَا غَنِينَا
وَأَنَا الْبَاخِلُونَ إِذَا مَلَكْنَا *** وَأَنَا الْغَادِرُونَ بِمَنْ يَلِينَا
وَأَنَا قَدْ ظَلَمْنَا وَافْتَرَيْنَا *** وَشَوَّهْنَا وَجُوهَ الصَّالِحِينَ
وَأَنَا قَدْ هَجَرْنَا كُلَّ حَقِصِي *** وَصَافَحْنَا أَكْفَ الْمُجْرِمِينَ
وَأَنَا مَا شَكَرْنَا اللَّهَ حَقًّا *** عَلَى نِعَمِ أَتْتَنَا مُصْبِحِينَ

فالأسماء الموظفة في هذه الأبيات توحى بقوة الاستنكار والعتاب على المجتمع وأفراده، والأخلاقهم الرديئة المنتشرة بينهم، والتي تكشف عن تغير القلوب في هذا العصر، ومنها: (كُوْفَيْدُ، الْيَقِينَا، الْخَائِفُونَ، الْجَازِعُونَ، الْمُبْلِسُونَ، الْجَاحِدُونَ، الْبَاخِلُونَ، الْغَادِرُونَ، وَجُوهَ الصَّالِحِينَ، حَقُّ، الْمُجْرِمِينَ، نَعِيمٌ) وهي تصرفات تجعل الناس مستحقين هذا البلاء والوباء.

3-1-3- سيميائية الصورة: تعددت الصور في المعلقة الكورونية لأنّ الشّاعر يريد توصيل رسالة دينية اجتماعية، يثبت بها استحقاق البشر للعقوبة الإلهية؛ لأنّهم خالفوا السنن الكونية الربانية، فهو يُحذِرُ من مخاطر هذا الطاعون ويدعو إلى اتّخاذ الإجراءات الوقائية كما يقول في الأبيات الأولى:

أَلَا هَبِّي بِكَمَامٍ يَقِينَا *** رَذَاذَ الْعَاطِسِينَ وَعَقْمِينَ

وخير وسيلة -حَسَبَ الشّاعِر- تقينا من الوباء هي اتباع الإجراءات الوقائية من ارتداء الكمام عند الخروج من البيت وتعقيم الأيدي والأشياء.

كما يتذمر الشّاعر من الحياة البائسة التي يعيشها مجتمعه في الحجر الصحي، وشبهه بالقفص الكبير على فقال:

فَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي قَفْصٍ كَبِيرٍ *** وَكُورُونَا يَبُتُّ الرُّعْبَ فِينَا

ودلالة ذلك التشبيه أن المعيشة أصبحت صعبة، لأنّ البشر صاروا كالعصافير المجبرة على المكث في قفصها، فإذا خرجت منه سيتلقفها الموت المحتوم،- فهي لا تعرف تدبير أمورها خارج ذلك القفص- أو كحال السّجناء في سجنهم والحارس يمنعهم من الخروج منه، وعبر الشّاعر عن ذلك بقوله: (وَكُورُونَا يَبُتُّ الرُّعْبَ فِينَا)، فرعب هذا الوباء قد تسلل إلى القلوب، لأنّه يعمل في خفاء فيخطف الأرواح كالشبح (لا طيف ولا لون ولا صوت).



ويواصل الشاعر في رؤيته السّاخرة حين يصوّر لنا فزع النّاس من كلّ عاطس أو ساعل، حتى إنهم يتفرقون من حوله ولو كان مازحاً فقال:

إِذَا مَا قَدْ عَطَسْنَا دُونَ قَصْدٍ *** تُلَاحِقُنَا الْعُيُونُ وَتَزْدَرِينَا
وَإِنْ سَعَلَ الزَّمِيلُ وَلَوْ مُزَاحًا *** تَفَرَّقْنَا شَمَالًا أَوْ يَمِينًا

فصورة هذا الطاعون عند الشّاعر متأرجحة بين قتل البشر بالفيرس أو بالرّعب والمحاصرة فيقول:
وَبَاءٌ حَاصَرَ الدُّنْيَا جَمِيعًا *** وَفَيْرُوسٌ أَدَلَّ الْعَالَمِينَ
تَغْلَغَلَ فِي دِمَاءِ النَّاسِ سِرًّا *** فَبَاتُوا يَائِسِينَ وَعَاجِزِينَ
يُقَاتِلُهُمْ بِلَا سَيْفٍ وَرُمَحٍ *** وَيَتْرِكُهُمْ ضَحَايَا مَيِّتِينَ
والعجيب في الأمر عند الشّاعر أنّ هذا الطاعون لا يقاتل بسيف ولا رمح وإنما يتغلغل خفية إلى
الأجساد فيبرديها جثثاً هامدة من خلفه.

ثمّ يأخذ الشّاعر خالد الصدقة في استنتاج الأسباب التي جعلت البشر يستحقون العقاب فقال:

أَيَا كُوفِيدُ لَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا *** وَأْمِهْلْنَا نُخْبِرَكَ الْيَقِينَا
وَأَنَا الْمُبْلِسُونَ إِذَا افْتَقَرْنَا *** وَأَنَا الْجَاحِدُونَ إِذَا غَنِينَا
وَأَنَا الْبَاخِلُونَ إِذَا مَلَكْنَا *** وَأَنَا الْعَادِرُونَ بِمَنْ يَلِينَا
وَأَنَا قَدْ ظَلَمْنَا وَافْتَرَيْنَا *** وَشَوْهْنَا وَجُوهَ الصَّالِحِينَ
وَأَنَا قَدْ هَجَرْنَا كُلَّ حَقٍّ *** وَصَافَحْنَا أَكْفَ الْمُجْرِمِينَ
وَأَنَا مَا شَكَرْنَا اللَّهَ حَقًّا *** عَلَى نَعْمِ أَتْتْنَا مُصْبِحِينَ

وفحوى هذا التصوير أنّه عبارة عن تراكمات أخلاقية خبيثة جعلت سخط الله ينزل على البشر وهي:
(جُحُودٌ، بُخْلٌ، غَدْرٌ، ظُلْمٌ، افْتِرَاءٌ، تَشْوِيهٌ، هُجْرَانٌ، مَوَالَاةُ الْمُجْرِمِينَ، كُفْرَانٌ نَعْمِ اللَّهِ)
كما يدعو الشّاعر في آخر قصيدته البشر أن يتعضوا ويصحوا من سبات الغرق في المنكرات
وإلا كان عقاب الله مستمرا فيقول:

وَهَذِي صَفْعَةٌ أُولَى لِنَصْحُو *** وَنَخْرَجَ مِنْ حَيَاةِ الْغَافِلِينَ
وَالْأَفَالْمَصَائِبُ مُطَبِّقَاتٌ *** وَنَرْجُو اللَّهَ دَوْمًا أَنْ يَقِينَا

3-1-4- سيمياء الزمان والمكان: لم يوظف الشّاعر الكثير من الزّمان والمكان إلا ما كان من بعض
الإشارات كقوله:

فَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي قَفْصِ كَبِيرٍ *** وَكُورُونَا يَبْتُ الرُّعْبَ فِينَا



وهي حالة نفسية محبطة من الشاعر بسبب الحجر الصحي الذي فرضه الكورونا برعبه على الدول وعبر عنه الشاعر بـ (اليوم) زمان (قفص كبير) مكان، فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية توحى باتحاد الشاعر مع واقعه المرير الذي أصبح في نظره لا يطاق.

ويصف في بيت آخر حالة الرعب التي ركبت الناس عند سماعهم سعال أحد في المجلس، تفرقون من حوله ذات اليمين والشمال وهو توجه مكاني كما يقول:

وإن سَعَلَ الزَّمِيلُ وَلَوْ مُرَّاحًا *** تَفَرَّقْنَا شَمَالاً أَوْ يَمِينًا

ومن ذلك الزمان أيضا استنتاج الشاعر أسباب نزول البلاء حين كفر الناس نعمة الله التي تهطل عليهم صباح مساء فقال:

وَأَنَا مَا شَكَرْنَا اللَّهَ حَقًّا *** عَلَى نِعَمٍ أَتَّئْنَا مُصْبِحِينَ

3-1-5- سيميائية الشخصيات: تنوعت الشخصيات في القصيدة الكورونية بين شخصيتين هما:

شخصية: (الشاعرُ و أفرادُ مُجْتَمَعِهِ) و شخصية: (الكوروناً)

1- شخصية الشاعر مع أفراد مجتمعه: ويتعلق الأمر بالصفات النفسية والعقلية والفكرية والإجتماعية والخلقية والعقائدية التي تظهر من خلال النص أو دلالاته ك(الانطواء، العصبية، الغيرة، التدين.. إلخ) وعبر الشاعر عن هذه الشخصية بضمير جماعة المتكلمين على أنه مذنب مثلهم يتشاركون معهم العقوبة [قفص كبير، تلاحقنا، تزدربنا، تفرقنا، الخائفون، الجازعون، المبلسون، الجاحدون، الباخلون، الغادرون الخ] وكلها أخلاق وتصرفات ساهمت في استحقاق العذاب من الله ب(الكوروناً).

2- شخصية الكوروناً: وهي شخصية- افتراضية- فتاكة بالبشر، قد أكسبها الشاعر قوةً أسطورية، ليحاول من خلالها تقديم صورة من صور الرعب الذي ألحقته بالناس. فالكوروناً عقاب من الله ليقوم أفعال خلقه الرديّة .

فقد تحول الفيروس من صورته الوبائية إلى صورة من (القسوة والشراسة والفتك والغطرسة)، ما أدى بالشاعر إلى مخاطبته بتوسل والتذلل، فتارة يناديه باسمه (الكوروناً، كوفيد، الفيروس)

كما قال: أيا كوفيد لا تعجل علينا *** وأمهلنا نخبرك اليقينا

وتارة أخرى يكتفي بالحديث والحكاية عنه موظفا ضمير المخاطب أو الغائب أو التنيير، [يبث الرعب، وباء حاصر الدنيا، فيروس أذل، تغلغل، يقابلهم، يتركهم، أيا كوفيد، أمهلنا]

وعلى الرغم من تنوع الشخصيات وتعددها في النص، إلا أن الشاعر قد قدم لكل شخصية منها حقها في القصيدة- من وصف الملامح بحسب ما تنطوي عليه من الحالات النفسية، وترك فسحة للقراء أو



النقاد ليغوصوا إلى مكامن تلك القصيدة فيستخرجوا مقصدياتها ويستنبطوا دلالاتها -حسب ما يراه الشاعر- وخبايا ملامح شخصياتها، حتى إذا ما أبدعوا في قراءاتهم وصلوا إلى دلالات ومقصديات لم يردها الشاعر ولا تطفن لها، وإنما هي مضامين جديدة كامنة في قعر النص تعبر عن انفتاحه.

3- مربع غريماس: وبالرجوع إلى هذا المربع المنطقي الذي "اصطنعته النسقية الأرسطية في تطبيق الأحكام على مبدأ: التناقض والثالث المرفوع"¹⁵ فالشاعر يعتمد على مفردات تساعد القارئ- بأنواعه - على فتح مغاليق النص الشعري واستخراج حقله الدلالية.

ومن خلال ما وظفه الشاعر خالد الصدقة في (القصيدة الكورونية) يمكننا أن نستخلص التقابلات التالية بين ثنائيتي: (الانقطاع، والاتصال) بين العباد وخالقهم ومجتمعاتهم.

تضاد

س1 (انقطاع) س2 (اتصال)

تناقض

تضمن تضمن

تناقض

س2 (لا اتصال) س1 (لا انقطاع) تضاد¹⁶

وهكذا نستنتج العلاقات التالية¹⁷:

س1، س2- علاقة ضدية _____ انقطاع (م) إتصال

س1، س1- علاقة ضدية _____ انقطاع (م) لا انقطاع

س2، س2- علاقة ضدية _____ إتصال (م) لا إتصال

س1، س2- علاقة إقتضائية _____ لا انقطاع (م) إتصال

س2، س1- علاقة إقتضائية _____ لا إتصال (م) إتصال

ومن هنا يمكننا القول إن البنية العمية للقصيدة تكشف لنا عن النزعة الروحية- الدينية - للشاعر التي مفادها؛ أن وباء الكورونا نزل كعقاب من الله للبشر بسبب أخلاقهم الدنيئة التي لم تجعل الحياة تحلو بين الناس، وعبر عنها بالمفردات: [تلاحقنا، تزدربنا، تفرقنا، الخائفون، الجازعون، المبلسون،

¹⁵ د.يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة- المنطق السيميائي وجبر العلامات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005، ص21.

¹⁶ محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، العدد 03، المجلد 35، يناير- مارس، 2007، ص137.

¹⁷ فيليب همون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار، الاذقية- سوريا- ط1، 2013، ص68. 69

سيميائية الشعر الوبائي بين السخرية والجدية المعلقة الكورونية أنموذجاً



الجَّاحِدُونَ، البَاخِلُونَ، الغَادِرُونَ]، كما أنها دعوة من الشَّاعر خالد الصَّدقة لإصلاح العلاقة مع الله
ثُمَّ مع البشر عسى أن تعود الحياةُ إلى طبيعتها.



خاتمة

إن قصيدة (المعلقة الكورونية) تتميز بلغة أدبية و شعرية مكنتها من الجمع بين المفردات ودلالاتها التي تدعونا إلى استنشاق عبير الشعر الجاهلي في قالبٍ معاصر، من خلال معارضة الشاعر خالد الصدقة لفحلٍ من فحول المعلقات وهو (عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ)، إلا أنه أخذ توجهها ساخراً من الواقع الذي آلت إليه المجتمعات الأجنبية عامة و العربية خاصة، فيحذرنا من وباء كورونا، ويدعوها إلى إعادة حساباتها والمضي قدماً في اصلاحات: روحية واجتماعية واقتصادية وحتى صحية، لأن الموضوع يتعلق بطاعون الألفية الثالثة الفتاك، الذي أصبح يفري في أرواح والنفوس قريباً.

فالشاعر هنا يحاول إعطاء الوباء حقه من الأهمية في أسلوب ساخر يوعي من خلاله الناس، ويدعوهم إلى إصلاح تصرفاتهم السلبية.

ومن خلال هذا النص يمكننا استخلاص بعض النتائج:

- 1- إن الكورونا قد أصبحت طاعوناً كبيراً في العالم يفترس الأزواح ويبث الرعب بين البشر.
- 2- لقد تحمّل الشعراء مسؤولياتهم تجاه أمتهم والعالم ككل، بنشر التوعية بين الناس حول هذا الوباء الخطير في قالب أدبي بديع.
- 3- الواجب على الشعوب اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة تجاه الكورونا للحد من انتشارها في العالم (لبس الكمام وتلقيم الأيدي والأشياء والتباعد الاجتماعي).
- 4- مزج الشاعر بين الأسلوب الساخر والأسلوب الجاد ليروح عن المتلقى ويحذر المجتمع العربي من خطورة هذا الطاعون.
- 5- يحاول خالد الصدقة إثبات أن الكورونا عقابٌ من الله للبشر بسوء أفعالهم، مع تقديم الحجج والبراهين المثبتة لذلك: (تفرقنا، الخائفون، الجازعون، المبلسون، الجاحدون، الباخلون، الغادرون الخ).
- 6- يطغى على النص الحقل الديني، حيث وظف الشاعر مجموعة من المفردات القمئبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية ك(الله، الخائفون، الجازعون، المبلسون، الجاحدون، العالمينا، الدنيا، اليقين، ابتلينا، هجرنا، نعم،... الخ) وهو دليل واضح على تأثر الشاعر بها.



المصادر والمراجع

أ. القرآن الكريم:

- * سورة البقرة، الآية: 273
- * سُورَةُ التَّوْبَةِ الآية: 79
- * سورة هود، الآية: 38
- * سورة الفتح: الآية: 29

أ. الحديث الشريف:

صحيح مسلم عن أنس بن مالك، الحديث رقم: 2119

أ. المؤلفات:

1. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، -، ط2، 2009، ج: 12.
2. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت - لبنان - ج4.
3. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، -، ط2، 1983.
4. حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، -، 1982.
5. حفناوي بعلي، استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر، دار دروب للنشر، ط1، 2014.
6. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم، دار الفكر، بيروت - لبنان، -، 2018، ج3.
7. ديوان عمرو بن كلثوم، تح: عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت - لبنان، -، ط1، 2004.
8. شمس الدين الرازي، مختار الصحاح، تح: سليم محمد، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
9. صلاح عبد الحافظ، السخرية وبدايات التحول في الشعر العباسي عند بشار وأبي نواس (دراسة نقدية نصية)، دار المعارف، القاهرة - مصر، -، ط1، 1989.
10. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، -، ط. جديدة، 2007 ج4.



11. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر - ط1، 2010.

12. فيليب همون سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار، اللاذقية - سوريا - ط1، 2013.

13. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2012، ج 22/6.

14. نعمان أحمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة - مصر - ط1، 1979.

15. د. يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة - المنطق السيميائي وجبر العلامات، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005.

IV. المجالات:

1. بلقاسم دقة، السيمياء في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد 2003/91.
2. جميل حمداوي، سيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، م 25 عدد: 3 يناير 1971.
3. محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، العدد 03، المجلد 35، يناير - مارس، 2007.
4. منتصر عبد القادر الغضنفر، وزهراء ميسر حمادي، الفكاهة والسخرية في شعر أبي دلالة - قراءة في الصورة البيانية، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد 13، 2013.

V. المواقع:

1. ماجد وهيبو، على حواس، السيميائية اللغوية (شعر أحمد مطر) أنموذجا جامعة بغداد.
<https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=43788>
2. أبو القاسم رادفر، السخرية؛ لغتها، أشكالها، ودوافعها، مقال: نشر: 2011-01-29، موقع ديوان العرب.
<https://www.diwanalarab.com>
3. صحيفة الاستقلال، شخصيات العراق والشام، خالد الصدقة شاعر سوري هجا (كورونا) نشر يوم: 2020-06-04 موقع
<https://www.alestiklal.net/ar/view/4928/dep-news>.
4. لسانيات وسيميائيات، مدونة مولاي على بوخاتم



http://moulayaliboukhatem46.blogspot.com/p/blog-page_13.html

5. عمر بن كلثوم، موقع سطور.نشر 2019/11/17، <https://sotor.com>.